الأحد: 2024/02/18

التوقيت: 11:20 – 12:50

القاعة: 33 في الكلية

المحاضرة رقم 02: فنون السرد – القصة.

تمهيد:

القصة هي أحد الفنون النثرية الأدبية ظهرت في القرن التاسع عشر في كل من روسيا وأمريكا وتطورت في القرن العشرين وفي البلدان العربية كانت مصر هي الأولى بقصة محمود تيمور "في القطار" سنة1917، يهدف بها الكاتب إلى الترفيه، ولها قيمة فنية تأتي من مهارة الكاتب وتعمقه في الحوادث التي يكتب عنها، وتروى في زمن قصير لا يتجاوز ساعتين كأقصى حد وهو ما يعني طولها أيضا، ومن أهم مبادئها التأثير على معنويات القارئ، واختيار كلمات سهلة بأسلوب سهل دون أن يتشعب الكاتب في موضوعها حتى يستطيع القارئ أن ينتهي منها دون تعب، وكلما كان الكاتب دقيقا في الموازنة بين الألفاظ التي يستخدمها وأفعال شخصياته وتصرفاتها تمكن من تحقيق التأثير المرجو في القارئ. ومن الضروري أن يكون الكاتب أمينا في نقله للأحداث ومشاعر شخصياته ويأتي هذا عن خبراته الخاصة بالأمكنة والشخصيات والمواقف وقراءته أيضا.

وفرق النقاد بين أنماط أربعة من القصص فسموا:

القصة الطويلة المتشعبة بالرواية (Roman)

القصة المتوسطة الطول بالقصة (Nouvelle)

القصة القصيرة بالأقصوصة (Conte)

القصة التي تنزع إلى الخبر بالحكاية (Récit)

وفي تعريفات لعدد من الباحثين لمفهوم القصة فهناك من يقول القصة هي التي:

- نقرأها في جلسة واحدة فكل كلمة تسهم في إحداث التأثير الذي وضعه المؤلف سابقا يجب أن يتم الإعداد له مع أول جملة ثم يتدرج حتى النهاية وعندما يصل إلى أعلى نقطة، هنا تنتهي القصة.
- تسرد أحداث (نفسية وحسية) متشابكة من خلال أزمة والتوصل إلى حل لها، فالأزمة والحل هما الجانبان اللذان يساعدان على تأمل طبيعة الإنسان.
- تحوز اهتمامنا من خلال مجموعة قصيرة من الوحدات لها بداية ووسط ونهاية: هذه الوحدات إنما هي تصورات رغم أنه يمكن أن نرى فيها شبها بما لدينا من خبرات حياتية، والتصورات هي التي تخلق فينا الإحساس بأننا نرى الواقع.
- تسرد واقعة أساسية، حديثة العهد، محكمة السبك؛ هذه الواقعة قد حدثت في حياة اثنين أو ثالثة من الشخصيات المحددة الملامح: وعندما يصل الحدث إلى أعلى قمة له يثري معرفتنا بالطبيعة الإنسانية، إذن القصة هي خيال نثري موجز لكن يتطور بشكل منسق بحيث يرى بوضوح المقصد النهائي منذ البداية.

أولا: المبادئ الأساسية لبناء القصة

يتطلب بناء القصة مجموعة من الآليات والعناصر التي يجب توفرها أو معظمها عند كتابة القصة، ويتعلق مصطلح البناء أساسا بفن المعمار وكما يشيد البيت بأدوات لابد من توفرها، للقصة آلياتها التي تكتب بها أيضا، وفي هذا المضمار يعرف صالح فضل البنية بأنها "مجموعة متشابكة من العلاقات، وهذه العلاقات تتوقف فيها الأجزاء أو العناصر على بعضها من ناحية، وعلى علاقاتها بالكل من ناحية أخرى".

1. الوحدة:

يتعلق مفهوم الوحدة في القصة بوجود فكرة رئيسية واحدة بمعنى أن تلتزم بأفكار موحدة، مثال: إذا كانت القصة رومانسية فيجب أن تتحدث الأفكار عن العواطف ويركز على عاطفة واحدة، ويرتبط مفهوم الوحدة باتجاه القصة نحو منحى واحد وثابت، وخبر تكمله

مجموعة من الأخبار وهو من مستلزمات القصة: أي أن الخبر الذي ترويه، يجب أن تتصل تفاصيله أو أجزاؤه بعضها مع البعض بحيث يكون لمجموعها أثرا أو معنى كليًا.. وأن يكون للخبر بداية ووسط ونهاية، أي أن يصور ما نسميه بالحدث، ويجب أن تتوفر في القصة وحدة الموضوع، ووحدة الموقف، والانطباع وكل أنواع الوحدة، وتختار الشخصيات التي تناسبها والحوار الذي يكشف عنها.

2. التكثيف:

وهو أن يكون هناك هدف معين منذ بداية القصة ويتم التعبير عنه بمختلف الجمل الموحية التي تخدم الفكرة، ويشكل المركز مع الأخذ بعين الاعتبار مساحة القصة عند وصف مشهد ما، ليصل الكاتب والقارئ معا إلى المعنى المرجو دون تشتت. ويطال التكثيف كل من الفكرة والوحدة والموضوع وحتى اللغة، "إن التكثيف يفترض بحضوره عددًا من العناصر والتقنيات على مستوى اللغة في التركيب والمفردة والجملة، وعلى مستوى الموضوع القصصي، وطريقة التناول، واختيار الفكرة والمحافظة على حرارة الموضوع، والقبض على نبض الحدث وهو في حالة توهج وانبثاق، إضافة إلى ما يتطلبه من رفض للشرح والسببية والتعليل، ودعوة إلى عدم تشتيت الحدث.. فالمحافظة على قصصية الجملة هي من أهم مهام التكثيف.. والمحافظة على متانة البناء دون تضييع المقولة، مع ما يفرضه من حذف للروابط، والاستفادة من الضمائر، والاقتصاد في الوصف".

3. الإيجاز:

ونعني به الاختصار أو الاقتصاد في استخدام الكلمات للتعبير عن الفكرة، وغالبا ما يتمكن من اتقان استخدامه كل كاتب ذكي ومتمكن من اللغة، ويحسن وضع الكلمة في سياقها الصحيح، وقادر على إيصال الفكرة بأسرع وقت وبأدق التفاصيل دون إسهاب بأسلوب جيد.

4. الصدق:

على الرغم من توفر المواضيع إلاّ أّ ن العاطفة هي سبيلها لأن تكون مادة قصصية، وليس من المهم أن تحوي القصة معلومات جديدة بقدر ما تكون مؤثرة في نفس وإحساس القارئ، وتحرك تفكيره نحو الأشياء التي يراها غيره عادية فيراها بعين البصيرة ويتحرك شعوره نحوها، فبعض الأشياء التي يراها أحدهم عادية ينظر لها الآخر بعين الانبهار.

5. المفاجأة:

حتى يصل الكاتب إلى مبتغاه يكفي أن يضمن قصته مفاجأة ما تثير عاطفة القارئ، وترسم له اتجاها جديدا في نفسه لم يكن يعرفه، وتكون هذه المفاجأة إما حدث وإما شخصية أو إحساس أو وجه جديد وما إلى ذلك من حيل لا يقدر عليها إلا كل كاتب متمكن يتقن اللعب على هذه الأوتار الحساسة.

6. الطول:

تختلف القصة عن الرواية من حيث الطول ومن حيث فنيتها أيضا فهي ليست ملخص عن رواية، وإنما لها أركانها وخصائصها وقواعدها التي تميزها عن غيرها من الفنون، ويحتاج هذا الشرط إلى قدرات فنية تميز بين ما هو حشو فتحذفه وما هو ضروري فتتركه وتدعمه من الوصول إلى الهدف المنشود من كتابة القصة دون تطويل ممل يخرج عن المغزى، والتأثير في القارئ على مدى زمني قصير، وتتطلب كتابة القصة نسجا محكما لعناصرها حتى تنجح في أداء رسالتها.

7. الحبكة:

وتعني الأحداث بصفة مباشرة والتي يستقيها الكاتب عادة من واقعه ومن خبراته التي تمتد إلى تجارب الآخرين، وهي أحد مراحلها المتصاعدة، "حبكة القصة هي سلسلة الحوادث

التي تجري فيها، مرتبطة عادة برابط السببية. وهي لا تفصل عن الشخصيات إلا فصلاً مصطنعًا مؤقتًا، وذلك لتسهيل الدراسة. فالقاص يعرض علينا شخصياته دائما وهي متفاعلة مع الحوادث متأثرة بها، ولا يفصلها عنها بوجه من الوجوه".

وتعرف أيضا بأنها "كل ما اتحدت أجزاؤه منذ البداية، والوسط وحتى النهاية.

البداية: هي الشيء الذي يفترض عدم وجود شيء سابق لكنه يتطلب الاستمرار.

أما **النهاية** فهي على العكس تفترض وجود سابقة ولا تفترض الاستمرار.

والوسط: يفترض وجود سابقة واستمرارية".

وعموما "الحدث والحبكة والأزمة والموقف كلها شيء واحد".

8. الصراع:

يمثل الصراع العنصر الأساسي الذي تبنى عليه القصة، وهو المسار الذي تتطور عبره الأحداث تدريجيا فتنمو وتتحرك باتجاه الحل في تنام مرورا بالعقدة واللحظات المتأزمة، جاعلة القارئ في شوق لما سيأتي بعد كل تطور للأحداث حتى يصل في الأخير إلى لحظة التنوير، ويعد الصراع الدلالة الواضحة على وجود تنافس أو حرب أو مواجهة بين طرفين أو أكثر أو بين الأفكار والمبادئ وما إلى ذلك، وهو نوعين:

- **صراع خارجي:**

هو صراع الشخصية مع محيطها الخارجي والظروف التي تحيط بها متمثلة في المجتمع، ويظهر هذا الصراع أمام الآخرين.

- **صراع داخلي:**

هو صراع مخفي داخل نفس الشخصية ولا يمكن ملاحظته بالعين إلا إذا عبرت عنه، ويتعلق بما يدور من حولها من أحداث لا تستطيع التعبير اتجاهها أو مقاومتها فيحدث الصراع في أعماقها ومن شروطه أن يكون صادقا دون تمثيل.

9. لحظة التنوير:

ينظر كاتب القصة للحدث من زاوية واحدة ويسلط عليها الضوء ولا يهتم بحياة بكاملها وإنما بجانب منها يثير اهتمامه، أو يقوم بتصوير حالة واحدة تشغل حيزا كبيرا من تفكيره، ويريد من وراء عمله هذا أن يخرج للقارئ في نهاية القصة بمعنى محدد، وهو ما يكسب نهاية القصة أهميتها، وهي النقطة التي تتجمع فيها وتنتهي إليها خيوط الحدث كلها، فيكتسب الحدث معناه المحدد الذي يريد الكاتب الإبانة عنه، ولذلك فنحن نسمي هذه النقطة لحظة التنوير، وهي اللحظة التي يستريح فيها القارئ ويصل عندها إلى الكشف عن الحقيقة التي كان يبحث عنها.

إذن يتفق جل المهتمين على أن القصة جنس هجين، أخذ من الأجناس الأدبية الأخرى أكثر صفاته وخصائصه، فمن الرواية استعار النفس السردي والاهتمام بالتفاصيل والوصف.. ومن القصيدة الشعرية اقتبس التكثيف والتوتر والإيجاز.. ومن المسرحية النفس الدرامي وتجسيد الأحداث والحوار.. ومن المقالة الدقة، والتحليل المنطقي والقصر.. ومن الموسيقى الإيقاع الداخلي الذي يتميز به النثر الفني عامة.

وبسبب هذه الهجنة، من الصعب الإلمام بتعريف شامل لها يشفي الغليل، وعلى الرغم من ذلك يمكننا القول أن القصة جنس أدبي يعيد الكاتب من خلاله ترتيب جزء من العالم نثرا، ضمن شريط لغوي قصير، يستند إلى صوغ حكاية، عبر مجموعة من الأحداث، التي تقوم بها شخصية أو مجموعة محدودة من الشخوص في زمان ومكان معينين.

وبالطبع بعد إنتاجه لعدد محترم من النصوص، يستبطن كاتب القصة جملة من الخصائص المميزة لهذا الجنس الأدبي، وضمنها الحيز القصير أو الضيق.. وبالتالي، ونتيجة لهذه الخبرة المكتسبة ينتفي لديه الاهتمام بضيق الحيز أو اتساعه.. إذ يعمد إلى توظيف تقنيات خاصة تمكنه من استغلال هذا الحيز مهما ضاق.. فقصر الحيز لا علاقة له بقصر ما ينتجه من خيال.. فالكاتب يمكنه أن يضرب عميقا في الزمان والمكان مثلا، باستعمال تقنيات الفلاش باك والأحلام والفانتازتيك وغير ذلك من الوسائل المتاحة.

فالفيصل في الأمر هو امتلاك رؤية وتصور واضحين لوظيفة القصة، والدربة على استعمال وسائلها التقنية.. فالقصة هي كذلك لأنها لا تكتب إلا قصيرة.. لذا يعتبر ضيق الحيز جزءا من ماهيتها، وبدونه تنتفي صفة من أهم الصفات المحددة لكينونتها.

ثانيا: التقنيات الخاصة في كتابة القصة القصيرة

أما بخصوص التقنيات الخاصة في كتابة القصة القصيرة، فهي:

أ- الحكاية: في كتابة قصة قصيرة لا يمكن التنازل على شرط توفر الحكاية، لأن انعدام الحكاية يضعف النص القصصي، ويفقده جزءا أصيلا من هويته.

ب- الرؤية: يجب أن تستبطن القصص معنى ما، ومن الأفضل أن يكون إنسانيا انسجاما مع التصور الشخصي للإنسان والعالم.. فحين يكتب الكاتب قصة قصيرة يشتغل على النص بحيث يتضمن في آخر المطاف معنى عميقا، يكتشفه كل من تجاوز معناه الأول، وغاص للبحث عن المعاني الأخرى التي غالبا ما لا تظهر بسهولة.

ج- الدقة: كاتب القصة يجب أن يسعى دائما لتكون قصصه مفهومة من طرف الجميع، خاصة على مستوى المعنى الأول للنص.. لهذا يحاول البحث عن الكلمة الدقيقة والمناسبة، والجملة التي لا يحول حائل دون فهمها.. هذا بالطبع من دون التضحية بعمق الكتابة، الذي يحرص أن تتوفر نصوصه عليه.

د- اللغة: يشتغل كاتب القصة على اللغة بشكل كبير، ويسعى لأن تكون رشيقة وسلسة، من دون الانزلاق نحو التكلف وافتتان اللغة بذاتها..، حتى تقود القارئ بلطف نحو الهدف الذي ابتغاه من وراء القصة.

فكل كاتب يسعى لامتلاك مشروع جمالي ونظري لكتابة القصة القصيرة.. ببساطة لأن الكتابة ليست عملية تقنية حسب، وإنما هي مؤطرة بوعي جمالي وخلفية ثقافية، تساهمان في منح النص القصصي بريقه الجمالي وعمقه الدلالي، كما أن القصة جاءت لتخدم قضايا اجتماعية أو سياسية أو أخلاقية، هذه القضايا التي غالبا ما تدفع القاص ليضحي بالقصة من أجل القضية، فيرتفع صوته ويصبح نصه عبارة عن بلاغات وشعارات ومحاكمات أخلاقية.

فالرسالة الخالدة للقصة هي القصة نفسها، فيكفي القاص فخرا أن يقدم لنا نصا أدبيا متكاملا، يوفر للقارئ المتعة المرتجاة، ويطور ذائقته الأدبية، ويساهم في السير قدما بهذا الفن الأدبي الجميل نحو المكانة التي يستحقها.

ثالثا: أنواع السرد القصصي

- **السرد اللاحق للحدث:** وهو وقت السرد المعروف في العمل السردي وفيه يقول الراوي إلى أنه يقوم برواية أحداثاً قد حدثت في ماضي سواء بعيد أو قريب.
- **السرد السابق للحدث:** وهو يدل على الحكايات التنبؤية التي تقوم على الصيغة العامة في المستقبل، ولكن لا يمكن منعها من الموافقة على الصيغة الحالية، واستعمال هذا الزمن داخل العمل السردي يقوم في الأغلب على مقاطع وأقسام معينة من النص وهي تحكي عن الأحلام أو التنبؤات.
- **السرد المزامن للحدث:** وهو الزمن الحقيقي الذي يتماشى فيه حديث الراوي مع خط سير الحدث، وقد يسعى بعض الكتاب لعمل شيء به تماسك خلال السرد عن طريق رواية حكاية كاتب يبدأ في كتابة عمله.

- **السرد المتداخل** :هو سرد في شكل متقطع الذي تترابط فيه المقاطع السردية التابعة إلى أزمنة متنوعة بين الحاضر والماضي والمستقبل.

رابعا: مميزات للسرد القصصي

1/ تقليل الأمكنة: إن موضوع المكان يعد هو المصيدة الأولى التي قد يجدها الكاتب القصصي، حيث يعتقد البعض أن المكان من الأمور الرئيسية ولا يمكن تجاهلها في القصة، لكن في الواقع في القصة يعتبر المكان هو مسألة اختيارية على سبيل المثال يمكن للكاتب تحديد مكان وهمي مفهوم للقارئ دون أن يسرد تفاصيله.

2/ تنكير الشخصيات: في القصة كما في الحياة إن كثرة وجود الأشخاص في المكان والضيق يحوله إلى مكان خانق وهكذا القصة التي تقوم على حدث واحد وأيضاً حبكة واحدة ستكون خانقة من عدد الشخصيات وهذا يجعل الكاتب يحتاج لأسماء وأفعال ووصف للشخصيات وهذا حشو لا فائدة منه على الإطلاق.

3/ الرؤية المصاحبة: أنواع الرؤى السردية عديدة، والمقصود بالرؤية السردية هي طريقة وحالة السارد، هل هو يعيش في الأحداث أم أنه يضع لها وصف خارجي أو يعرف جزء من الحقيقة ومتستر على جزء منها لخلق التشويق، لكن في القصة القصيرة الرؤية التي يكون فيها السارد هو جزء من الأحداث تعطي القصة شكل مميز من الإثارة والتشويق وتشجع القارئ على المتابعة.

4/ المشهد: في القصة يعتبر المشهد هو الحوار بين الشخصيات، ويعرف المشهد كونه أداة استعارية استخدامها الأدباء في المسرحيات، ومن أبرز مميزات القصة الحوارات الصغيرة التي تتخلص من رتابة السرد وتحفز القارئ على الإحساس أنه شخص من القصة.

5/ النهاية الصادمة: بالطبع القارئ دون قصد يخلق جو من التوقعات في أفق القصة وذلك يرجع بحكم قراءاته السابقة، لهذا على الكاتب أن يخلق قارئ ضمني داخل النص.

بالطبع لا خلاف في أن القصة حمالة مضامين، وتتألق هذه المضامين حينما تكون قضايا إنسانية، تلامس شغاف قلب القارئ أينما كان على وجه هذه الأرض، لكن هذه المضامين ليست غاية في ذاتها، بل مجرد عنصر يتكامل مع باقي عناصر القصة.

إن عيب التوجه الذي يطالب القصة بالالتزام بالتعبير عن قضايا معينة اجتماعية أو سياسية أو دينية، أن أصحاب هذا التوجه يرفعون من قيمة النص حين ينبري للمرافعة عن قضية معينة، حتى إن ضحى بالجانب الفني الذي بانتفائه تنتفي القصة.

يتعين أن لا يغيب عن بالنا أبدا أن القصة فن أدبي بالدرجة الأولى، وحين ترتدي جبة الوعظ والإرشاد أو الإصلاح الاجتماعي تصبح مجرد وسيلة لغاية خارجة عنها فتفقد هويتها.

كما يتفق الجميع على أن بداية القصة ونهايتها تكتسيان أهمية خاصة في عملية التلقي.. لهذا على الكاتب أن يولي اهتماما خاصا، في ما يتعلق بالبداية، ويجب على الكاتب أولا انتظار اختمار الحكاية في ذهنه، ومن ثمة يتيح المجال للأحداث المعبرة عنها لتتشكل بالوضوح المطلوب.. وحين يبلغ ما يمكن أن يطلق عليه مرحلة انبثاق المعنى، لا يحتاج حينذاك سوى إفراغ القصة على الورقة..

أما ثانيا، ففي لحظات معينة يمكن أن تمتلك الكاتب حالة معينة، يحس فيها أن شيئا ما يجول بذهنه يسعى ليكتبه، لكنه لا يتمتع بالوضوح الكافي.. حينها على الكاتب ألا يضيع الفرصة، في تناول القلم ويشرع في الكتابة كيفما اتفق.. ومع مرور الزمن تبدأ ملامح القصة في التشكل.. في نهاية المطاف يجد الكاتب نفسه أمام قصة قصيرة بعد أن حذف البداية، لأنها كانت مجرد محفز، وبالتالي فهي لا تنتمي عضويا إلى القصة.

أما بخصوص النهاية، يجب على الكاتب التأني في كتابتها، وغالبا ما يعيد صياغتها أكثر من مرة... في الغالب يجيب على الكاتب أن يترك النهاية مفتوحة، وتكسر أفق انتظار

القارئ.. أما نجاح القصة، فيتحقق حين ينتهي الكاتب من قراءتها وتكون محفزة لكتابة قصة أخرى..

قائمة المراجع:

1. أحمد جاسم الحسين، القصة القصيرة جدا مقاربة تحليلة، دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر، سوريا، 2010م.
2. إنريكي أندرسون إمبرت، القصة القصيرة النظرية والتقنية، تر: علي ابراهيم علي منوفي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة،2000م.
3. رشاد رشدي، فن القصة القصيرة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط2، 1964.
4. صالح فضل، نظرية البنائية في النقد الأدبي، دار الشروق، القاهرة، ط1، 1998م.
5. عبد الرحمن الكبلوطي، القصة القصيرة في الأدب العربي علي الدوعاجي محمود تيمور، دار ابن خلدون للتوزيع، تونس.
6. محمد يوسف نجم، فن القصة، دار الثقافة، بيروت، ط5، 1966.